اللُّغة والكذب قراءة في فضاءات التزوير الثقافي

أ.د. فراس صلاح عبدالله العتَّابي

salahroad@yahoo.com

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

الملخص:

اللغة الإنسانيةُ مائِزُ الكائن البشري وهي متقدمة على كل الوسائل التعبيرية الأخرى، ما جعل الكلام سلطة إنسانية حتى توسلت هذه اللغة بالكذب لترسيخ سلطتها في أحايين متكررة، ومع كل هذه الأهمية لم يحظَ الكذب بالانتباه اللساني في الساحة العربية، ثم إن البحث قد نبه إلى أنَّ الحقيقة ليست نقيضا للكذب بالضرورة، إذ أشَّرَ لغةَ الكاذب وجسده، وسَلَّطَ الضوءَ على الكذب الإبداعي أو النافع الذي توافق الشرق والغرب على تبريره عند كلامهم عن كذب نبيل، عرَّجت هذه الدراسة على أعلام معرفيين وفلاسفة وشعراء كبار أثروا الكلام في الكذب ولم يحلُّوا إشكاليته التي حلَّ معضلتها الكتاب الأسمى القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: اللغة– الكذب– التزوير – الثقافي

Language and lying reading in spaces of cultural falsification

Professor.Dr. Firas Salah Abdullah Al – Atabi
Al-Mustansiriya University/ College of Education/ Department of Arabic Language

Summary :

The human language is the advantage of the human being and is ahead of all other expressive means, which made speech a human authority until this language begged for lying to consolidate its authority. Despite all this importance, lying did not receive linguistic attention in the Arabic field. then, the research pointed out that truth is not the nemisis of lying. By highlighting the language and body of the liar, and shedding light on the creative or beneficial lie that the East and West agreed to justify when they spoke of a noble lie. this study focused on prominent scholars, philosophers, and great poets who influenced. the discussion of lying and did not solve its problem of which was solved by the Supreme Book, al-Qur'an al-kareem.

Key words : Language – lying – forgery – cultural

المقدمة:

للوقوف من ظاهرة الكذب موقفا إبستيمولوجيا لابد لنا من مراجعة أبرز المواقف اللسانية والفلسفية منه، فالكذب بوصفه ظاهرة إنسانية قد تُعومِلَ معه أخلاقيا ودينيا بشكل كبير، وجاءت الفلسفة في المرتبة الوسطى في التعامل معه ومراجعته، ثم حلَّت بالمرتبة الأخيرة النظرة اللسانية لمفهوم الكذب من ناحية الدرس والمراجعة العلمية، وعليه فإننا سنقف في هذا البحث على المرتبتين اللتين استخدمتا اللغة لتبرير الكذب أو استعماله، وهما المرتبتان الألسنية والفلسفية واللتان هما مرتبتان متداخلتان، وسنحاول تجاوز البحث العَقَدي قدر المستطاع كونه أَشبَعَ هذه الظاهرة بالدرس والتحليل إلا ما كان من ضروريات المُلازمة البحثية واشتراطات الربط المنهجي، وعند التحقيق في الكذب يطالعنا الوجه الإنساني الدائب في السؤال عن الحقيقة والذي هو سؤال المعنى إذ انشغلت به الدراسات الحديثة بدء من (سوسير) وما انبثق عنه من المناهج البنيوية إلى (دريدا) وما ظهر من اتجاهات ما بعد حداثية مرورا بـ (فيتجنشتاين) و (باختين)، فالبنيوية تعنى بأنظمة العلاقات النحوية والعلامات المولدة للمعاني، بينما قوض (دريدا) البنيات القارة للغة رافضا فكرة وجود المعنى في جملة أو نص أو نصوص معينة وإنما جعل المعاني لا متناهية ومتعالقة في بعد تناصي يجعل المعاني طروسا مملوءة بالمحو والإثبات وبالضياء والظِلال فالمعنى مُستَكمَل على الدوام بكلمات أخرى، وأما (فيتجنشتاين) فقد رأى أن المعنى ليس مجرد مرآة للمواضيع بل هو حصيلة اللعبة اللغوية الناتجة عن استخدام الكلمات المدفوعة براجماتيا (باركر،، 2018) ، ولقد انطلقنا في بحثنا هذا من المعاني المعجمية للعرب الجاهليين والمعاني الفلسفية لليونانيين وصولا إلى النهاية الفلسفية المعاصرة لعالمنا

الإنساني في جردة للتاريخ المادي الإنساني الذي يطرد التصورات الوحيانية؛ فإذا بحقيقته متعددة وغير قارَّة وغير ثابتة فهي تصورات مدفوعة بكلمات القوة المسيطرة والسلطة المتغلبة والتي بررت للكذب حتى شرعنته أحيانا، ومن ثم فإننا لم نعثر على دراسات ألسنية عربية مخرت عباب هذا البحر اللجي للكذب ما دفعنا للحفر أكثر في تساؤلاتنا عن الكذب والحقيقة من نواح ثقافية/لغوية/فلسفية ذات وظائف تواصلية أو جمالية أو إفهامية أو تعليلية وفي حدود التعبير اللفظي أو الجسدي المؤدي إلى إيصال المعنى، منبهين ومنتبهين للأردية الجمالية التي تكتسيها التعبيرات الكذبية، فالجمال في منهجنا الثقافي حامل كبير من الحوامل النسقية التي تسمح بتمرير الأنساق وإكساب المقدسات قيمها الترجيحية حتى تحتل النفوس من البوابات العاطفية مخترقة بذلك ومتجاوزة في الوقت نفسه القدرات العقلية الناقدة، فالأنساق تتكئ على الجوانب غير الواعية في عقلنا الباطن، وتتجاوز العقل الواعي من خلال الألوان العاطفية التي يعشو أمامها الوعي البشري الجمعي ما يسمح بمرورها مباشرة إلى اللاوعي النسقي الذي سيتعهد الرواية الأسطورية بالتصديق والإيمان والممارسة دون جرأته على تكذيبها أو تحليلها عقليا.

الإنسان كائن لغوي، ولغته نتاج فكره فهي غنية الدلالات ومتطورة المعاني تطورَ هذا الإنسان في جوانب حياته المختلفة على عكس الحيوان غير العاقل الذي ترتبط عنده اللغة بالغريزة فقط وعليه عُدَّ هذا الإنسان ((بتعبير إرنست كاسيرر حيوانا رامزا، ذلك أنه يستخدم شبكة من الرموز اللغوية أو العلامات اللسانية، من أجل أن يعبر عن ذاته وعن تصوره لظواهر الحياة والوجود)) (الشبة،، 2018) ، وقد أشار(روني ديكارت) إلى هذه المقدرة اللغوية التي تستطيع تأليف الكلمات في جمل تعبيرية والتي يتمتع بها كل البشر عدا البلهاء منهم، فمعرفة الكلام عند الكائن البشري لا تحتاج إلا إلى قدر قليل جدا من العقل على عكس الحيوان الذي لا يستطيع ذلك مهما بلغ من التطور والكمال بالقياس على أفراد نوعه (الشبة،، 2018) ، هذا من جهة مقارنة اللغة البشرية باللغات الحيوانية، وأما من جهة مقارنة اللغة بوسائل التعبير البشري الأخرى فإن ملكة الترميز عند الإنسان كما يشير (إميل بنفنست): ((تبلغ أقصى تحققها في اللغة، التي هي التعبير الرمزي بامتياز، وكل أنظمة التواصل الأخرى، الخطية والحركية والبصرية...الخ، تتفرع عنها وتفترضها مسبقا...وأخيرا إن اللغة هي النظام الرمزي الأكثر اقتصادا، فهي خلافا لأنظمة تمثيلية أخرى لا تتطلب أي مجهود عضلي، ولا ينتج عنها تنقل بدني ولا تفرض استعمالا فيه عناء...)) (الشبة،، 2018) ، وبما أن هذه اللغة لا تستدعي من البشريين من الجهد إلَّا أقله فما توصيف الكذب المرتدي لكلماتها هل هو كذلك سهل يسير؟ أم إنه صعب عسير؟

إن الإجابة عن الاستفهام المتقدم تستدعي استفهامات أخرى سنأتي عليها بعد أن نعلن أن النفي والإيجاب يتقاسمان إجابة ما قدمنا من سؤال فالكذب نسق ثقافي وظاهرة ارتبطت مع التاريخ البشري ارتباطا وثيقا إذ نادرا ما نلحظ مجتمعا يخلو أفراده من الممارسة الكذبية على الرغم من كون كل الأديان تنبذ هذه الثقافة المشينة والسلوك المنهي عنه، وفي النقود الثقافية والفلسفات البشرية والعلوم الحديثة توجهات متعددة صوب مصطلح الكذب سنعمل على رصدها قدر تعلق الأمر بالتواشج اللساني/الثقافي في هذه الورقة البحثية من أجل كشف هذه الأنساق الثقافية وتسليط الضوء على تمظهراتها المتنوعة والمتداخلة، بل والمتضاربة بشكل متناشز أحيانا،

– فمتى يُعدُّ الكذب ظاهرة مَرَضيَّة، وسلوكا اجتماعيا منبوذا، وطبيعة لغوية صعبة؟

يكون الكذب كذلك عندما يكون سلوكا متكررا وحين يستخدم دون الحاجة إليه أو عندما يكون كثير الشدة فحين ذلك يصبح عاملا مؤثرا تأثيرا سلبيا على مصلحة الفرد والمجتمع ما يوجب التشخيص والعلاج لأنه سيتحول إلى ثقافة بشرية وظاهرة لسانية ذات حمولات كاذبة فتكون اللغة غلافا يؤطر فيه النسق الكاذب تمويهاته وعدم صدقه، وانطلاقا من هذه الإحاطة اللغوية رأى (فيتغنشتاين): إن اللغة ليست لِبَاس الأفكار بل لَبْسها (فاينرش، 2015) ،وهنا يجب مناقشة هذه الفكرة التي تربط اللغة والكذب بعلائق متواشجة وإدارة الاستفهام حول:

1- ما حقيقة ربط الكذب باللغة؟

2- ما صدق ربط الكذب باللغة؟

3- هل يُعدُّ ربط الكذب باللغة إعماما صائبا؟

في الحقل المعرفي يُعدُّ كل إعمام خاطئا من الناحية العلمية لأن المعرفة نسبية، وهذه إجابة موجزة لتساؤلنا الثالث وسنعمل في مطاوي هذه الورقة البحثية على معاودة إغناء هذا الاستفهام كلما سمح المقام بذلك من أجل ربط الإجابة بمصطلح الكذب الذي نعمل على الحفر الثقافي في هيكله، وأما فيما يتعلق بالاستفهامين الأول والثاني فإننا سنبدأ بالإجابة النفسية/المرضيَّة بوصفها باعثا مهما

على الكذب ومن ثم نطرق بشكل تفصيلي أبواب التعالق الفلسفي/الألسني لموضوع الكذب، فمن الناحية السايكولوجية عرّف كيرتس وهارت الكذب المرضي بأنه "نمط مستمر ومنتشر وقهري في كثير من الأحيان من سلوك الكذب المفرط الذي يؤدي إلى ضعف كبير سريريًا في الأداء في المجالات الاجتماعية أو المهنية أو غيرها، ويسبب ضائقة ملحوظة؛ ويشكل خطرًا على النفس أو الآخرين، عندما يحدث لمدة أطول من 6 أشهر" (Curtis، 2020)

وتتحدد دوافع الكذب المرضي بما يلي:

– لا يمكن تمييز الدافع الداخلي للسلوك بسهولة سريريًا: على سبيل المثال، الابتزاز طويل الأمد أو الضرب الزوجي المعتاد قد يتسبب في كذب الشخص بشكل متكرر، دون أن يكون الكذب من الأعراض المرضية.

– يتم عرض القصص بطريقة يتم من خلالها تصوير الكاذب بطريقة إيجابية. الكاذب "يزين شخصيته" من خلال سرد القصص التي تظهره كبطل أو ضحية. على سبيل المثال، قد يتم تقديم الشخص على أنه شجاع بشكل خيالي، أو أنه يعرف العديد من المشاهير أو يرتبط بهم، أو أنه يتمتع بسلطة أو منصب أو ثروة كبيرة.

ويفرق بعض الأطباء النفسيين بين الكذب القهري والكذب المرضي، بينما يعدهم آخرون متساويين؛ والبعض الآخر ينفي وجود الكذب القهري جملةً وتفصيلاً؛ فلا يزال هذا مجالًا للجدل الكبير.

وأما فيما يتعلق بالكذب وبداياته عند الإنسان فإن الأطفال يظهرون درجات متفاوتة من السلوك الخادع في المواقف الاجتماعية. إذ لوحظ أن الأطفال يكذبون في وقت مبكر من عمر الثانية وتزداد مهاراتهم الخادعة بشكل حاد مع نضوجهم في مرحلة المراهقة.

أما الأطفال الذين لديهم مهارات معرفية متقدمة بالنسبة لأعمارهم فإن لديهم ميلا متزايدا لبدء الكذب في سن مبكرة. وقد يكذب الأطفال لأسباب مختلفة، بما في ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، الهروب من العقاب لعدم إطاعة مهمة ما (مثل تناول كعكة عندما يُطلب منهم عدم القيام بذلك)، أو من خلال مراقبة والديهم وأقرانهم، أو الافتقار إلى فهم شامل للأخلاق الأساسية.

وقد أولى علماء النفس المشهورون مثل (جان بياجيه) و(لورانس كولبرج) أهمية خاصة للنمو المعرفي للأطفال، ويعد التفكير الأخلاقي وظيفة لزيادة القدرات المعرفية في الدماغ بالتزامن مع التنشئة الاجتماعية داخل الفرد، وذلك من خلال تعزيز القواعد الأخلاقية الراسخة للثقافة والمجتمع، وتزداد القدرات المعرفية لدى الأطفال مع تطور الدماغ ونضجه واكتسابه المزيد من الخبرة في التفاعل مع البيئة المحيطة به، فقد أثبت البحث والتجريب صحة فرضية الأداء المعرفي وتوسعت فيه، مع الحفاظ على دور قيادي بوصفه الآلية التي تحرك نسيج السلوك البشري، (Sigelman، 2012.) ولكن السلوك البشري يقابلنا بتوجهات فنية وأدبية ولسانية وفلسفية وسياسية واقتصادية وهلم جرا... تتوسل الكذبَ على الرغم من كونها قدوات في مجالاتها المختلفة فإذا ما عدنا إلى القرن الثالث الهجري وإلى عَلَم بارز من أعلام ذلك العصر التأسيسي معرفيا وهو (الجاحظ ت255هـ) سنراه وقد اعترف بكذبه فقال عندما نَسَبَ بعض رسائله إلى غيره مبررا ذلك بخوفه من الحسد أو العداوة؛ إذ أشار إلى هذا الامر بقوله: ((و ربما ألّفت الكتاب ... فأترجمه باسم غيري، و أحيله على من تقدّمني عصره مثل ابن المقفع و الخليل و سلم صاحب بيت الحكمة، و يحيى بن خالد، و العتّابي، و من أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب)) (الجاحظ:، 1987) وبرر كذبه هذا بأنه كان دفعا لحسد مناوئيه ولكن ضامرا يظهر لاحقا في كلامه يكشف عن سبب أقوى لفعلته هذه وهو أن الآخرين كانوا يُقبِلون على ما ينسبه لغيره من مؤلفاته بالنسخ والإشهار والتعهد بالحفظ والرعاية على عكس فعلهم مع مؤلفاته المنسوبة إليه (الجاحظ:، 1987) فنحله مؤلفاته لغيره كان برغبة الشهرة ولو جاءت باللغة التي ألبست الفكرة الممنوعة أردية التلقي المقبولة عند محاكاتها هاجسا إنسانيا مخوفا منه وهو هجاس الحسد والغيرة الشائع في كل الثقافات الإنسانية، ونحن هنا أمام اعتراف صريح لمؤلف عربي مرموق وقدوة معرفية واضحة بمغادرة الحقيقة لغايات الشيوع والشهرة تحت ذريعة لغوية تسمح بتمرير القبحيات بأردية مقبولة أو جمالية، وهذا أمر حاضر بشكل قوي في القديم والحديث من أزمنتنا الثقافية نحن البشر، وقد انتبه النقاد العرب القدامى لأمر مغادرة الحقيقة والوضع أو النحل في الابداع الأدبي لتبريرات ثقافية **أهمها:**

1– رغبة القبائل في الاستزادة من الأشعار التي تمجدها، ومن ذلك ما فعلته قريش في وضع أشعار كثيرة على لسان (حسان بن ثابت) على نحو ما ذكره (ابن سلام) في طبقاته. (الأسد،، 1969)

2– صناعة الشواهد الشعرية لغرض البرهنة والاستدلال، ومنها الشواهد الفقهية والنحوية والكلامية والقصصية (الأسد،، 1969)

3- الرغبة في الذيوع والانتشار وأبرز نموذجين ثقافيين قديمين هما (حماد الراوية) و(خلف الأحمر) فقد كان هذان ومن ماثلهما ((يضعون على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها، ويزيدون في قصائدهم التي تعرف لهم، ويدخلون من شعر الرجل في شعر غيره...)) (العريان، 1940م)

فالكذب آباؤه كثيرون بمعنى أن مبرراته لا تنتهي؛ إذ بينما تحاول الحقيقة كشف وجهها تعمل فرشاة الكذب على تلوين ذلك الوجه وتغييره بذرائع التجميل والتزيين الثقافيتين فلسان حال الحقيقة يناظر لسان الشاعر الجاهلي (عبد يغوث الحارثي) حين قال:

أَقولُ وَقَد شَـدّوا لِساني بِنِسعَةٍ أَمَـعشَرَ تَـيمٍ أَطلِقوا عَن لِسانِيا

فَإِن تَقتُلوني تَقتُلوا بِيَ سَـيِّداً وَإِن تُطلِقوني تَحرُبوني بِمالِـيا

فيا عاصِ فكَّ القَيد عنّي فإنني صَبور على مرّ الحوادثِ ناكِيا (الحارثي، 2023)

وفي هذه الأبيات يصور الشاعر كيف شُدَّ لسانه بقطعة من نعله خشية إفصاحه وتكلمه؛ فالحقيقة أقل جمهورا وأكثر انعزالا وهكذا صورها الفنان العالمي (جان ليون جيروم) في لوحته التي رسمها سنة 1896م والموسومة بـ(الحقيقة العارية) أو (الحقيقة تخرج من البئر) حيث جعلها عارية ومختبئة بعد أن حاكى في لوحته هذه الأسطورةَ التي يروي فيها (جبران خليل جبران) كيف مارس الكذب احتياله على الحقيقة حتى سرق ثيابها وكيف لفَّ الكذب العالم مرتديا ثوب الحقيقة والناس تتقبله وفي الوقت نفسه يرفضون رؤية الحقيقة العارية، وعند هذه الحكاية الأسطورية التي شاعت كثيرا في القرن التاسع عشر في أوربا نعود لسؤالنا الذي افتتحنا به البحث والمتضمن استفهامنا عن مدى حقيقة رأي (فيتغنشتاين) في أن اللغة تُلْبِس الحقيقة في إشارات نتأولها بأن اللغة وسيلة من وسائل التلبيس لما لها من قدرات تأويلية منبثقة من رغبات متلقيها ومرسلها والسياق المحيط بهما وهنا أنبه المتلقي الحصيف بأن الحقيقة ليست نقيض الكذب فقد تستعمل الحقيقة للكذب أيضا فتكون وسيلة بارزة من وسائله التدليسية ولبيان هذه الفكرة التي تبين استخدام الحقيقة لغرض الكذب أعرض النكتة التي يذكرها (سيجموند فرويد) في معرض كلامه عن محادثة جرت بين يهوديين في إحدى محطات القطار في إسبانيا إذ سأل أحدهما الآخر ((إلى أين أنت ذاهب؟ فأجابه الثاني: إلى بلدة كراكوف فانفجر الأول فيه مشككا ومتعجبا: يالك من كذاب! أتقول إنك ذاهب إلى كراكوف لكي تجعلني أعتقد إنك ذاهب إلى لمبرج، ولكني أعرف أنك ذاهب فعلا إلى كراكوف. فلماذا تكذب عليَّ إذن!)) (الشريف،، 2019) وهنا استعمال الحقيقة من أجل التضليل والكذب فقد يتكلم الإنسان بالحقيقة وهو هادف إلى الكذب، وهذا باب بلاغي حاضر في أدبنا العربي تحت عنوان التورية البلاغية ومنها قول الشاعر (ابن نباتة):

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة دعوني فإني آكل الخبز بالجبن (المصري، 2023)

وهنا تحضر الحقيقة وهي مُورَّاةٌ بمعنى قريب غير مقصود وهو انشغال الشاعر بالطعام بينما يتلألأ تحت هذا المعنى المُلبِس القصد الحق وهو أن جبن الشاعر من حافظ على بقائه على قيد الحياة فكانت الكلمة المُورَّاة وسيلة اللبس مع كونها حاملةَ الحقيقة في الوقت نفسه فللكلمة القابلية على حمل المعاني المتناقضة والدلالات المتضادة في بعدها الأولي من ناحية الاستعمال في وظيفتها الخبرية، وكذلك في بعدها الأعلى في استعمالها الأدبي في وظيفتها الجمالية، وقد أشرنا إلى التورية البلاغية التي هي فرع الاستعمال الأدبي للكلمة المُلْبِسَةِ كما نشير إلى التورية الثقافية التي هي شجرة الاستعمال الجمالي للنسق المخاتل بوساطة الكلمات المتشابكة الفروع في الدلالات المعنوية؛ فالحقيقة ليست نقيض الكذب بل نقيضه ((الصدق (Truthfulness) مثلما أن نقيض الباطل هو الحق (True) ونقيض الزيف(Falsity) هو الشيء الحقيقي(Fact)...)) (الشريف،، 2019) ، إن الكذب محايث للغة مثلما الصدق محايث لها كذلك، وعليه فإن الكذب ليس عدم مطابقة الواقع من حيث قول القائل بل يشترط حضور نيَّة الكذب (فاينرش، 2015) لدى المتكلم فقد يكون القائل مغايرا للواقع في كلامه من باب التوهم إذا لم يتوافر لديه قصد الكذب ولذلك وجب حضور الركيزة المهمة في هذا الشأن كي يوصَّف القول بأنه كاذب وهذه الركيزة هي النيّة والقصد، ويعد (هرالد فاينرش) أول لساني غربي تطرق لموضوع الكذب من وجهة لسانية، وأما ساحتنا العربية اللسانية فلم تتناول هذا الموضوع فقد ظل هذا الأمر شأنا فقهيا وأخلاقيا ما خلا التصريف اللغوي لمفردة الكذب إذ انزوى هذا الموضوع بعيدا عن حلقاتنا اللسانية على الرغم من أهميته الكبيرة وشديد خطورته وتمثلاته التراثية والتداولية في مدونتنا الثقافية، وقد أشار الدكتور (عبدالرزاق بنور) إلى إضفاء المعجم العربي حمولات إيجابية على دلالات الكذب اللسانية ومنها مادة (زور) التي تصرف إلى التزوير الذي يعني إصلاح الكلام وتهيئته وتزويقه وتحسينه فزوَّرتُ الشيء حسنته وقومته وزوير القوم سيدهم ورأسهم، وأما مادة (لَمَعَ) التي تشير إلى اليلمع وهو البرق الخُلَّب الذي يشبه به الكذَّاب فتتصرف

دلاليا إلى الألمعي واليلمعي اللتين تعنيان الذكي المتوقد، وكذلك كلمة الخُزَعبَل التي تعني الباطل فإنها تنصرف إلى معنى مستملح حين توصف الأحاديث المستظرفة بـ (الخَزَعبَل) وأما مادة (بطل) فتتقاسمها دلالتا البطولة والبطلان (فاينرش، 2015)، وهذه عينات تمثل حالات مرصودة لظواهر كامنة في مدونتنا الثقافية تنتظر الرصد والتحليل اللساني والثقافي لهذا الازدواج الدلالي الذي يؤشر حاجات ثقافية وممارسات إنسانية تتوسد الكلمات كي تغفو الحقائق على فرشها الوثيرة، وهذه المدونة الثقافية ذات الجذور اللسانية الممتدة إلى أعماق ضاربة في التاريخ اللساني العربي والتي أشرنا إلى ازدواجها بحسب الحاجات والممارسات السلطوية تلتقي في زمننا المعاصر مع الفلسفات الغربية التي تنظر الى الحقيقة ليست بوصفها ذات بعد كوني أو ميتافيزيقي أو مطلق بل بوصفها لغة تعلي أحقيتها السلطات المنتصرة وليس الحق المجرد هو سبب علوها أو لأنها مطابقة للواقع، فالحقيقة بحسب (كريس باركر) وبحسب الحس المشترك المعاصر وفلسفة التنوير هي ((وصف مطابق أو مصور للواقع داخل لغة محايدة للملاحظة...هذا يسمح لنا بأن لا نتمسك بأوصافنا للعالم ورؤيتها كأوصاف صحيحة أو خاطئة داخل معنى المطابقة للواقع، بل إن كلمة الحقيقة من الأفضل فهمها كاستحسان اجتماعي بدلا من كونها صورة دقيقة للواقع... واللغة بمثابة أداة لإنجاز الفعل بدلا من كونها مرآة لتمثيل العالم)) (باركر، 2018) وعليه فالحقيقة بحسب هذه التصورات الفلسفية وبحسب فلسفة اللغة التي يعتمدها (فيتجنشتاين) دائرة في لعبة كلامية مدفوعة براجماتيا ((فمعنى الكلمات، كما يرى مستمد من استخداماتها في شبكة معقدة من العلاقات بين العلامات، وليس من الخصائص الماهوية أو الإحالية. ومن ثم، فالمعنى علائقي وسياقي)) (باركر،، 2018) والحقيقة التي رأيناها مقدمة بلعبة اللغة كما صدرها (فيتجنشتاين) نفسها تتراوح في هذه اللعبة في كونها لغات إنسانية وليست لغة واحدة وهذا ما بينه الفيلسوف ما بعد الحداثي (رورتي) إذ بين أن اللغات غير قابلة للقياس مثلما أنها غير قابلة للترجمة ومن هنا تم الاحتفاء بأنظمة المعرفة المحلية وبالمغايرة التي تمنح لكل لغة سلطتها وأحقيتها، ولقد تشابهت اراء (دريدا) مع كتابات (فيتجنشتاين) في اتفاقهما على الطابع السياقي للحقيقة وعلى اعتباطية العلاقة بين العلامة ومرجعيتها، فاللغة ليست وسطا صفريا في نقل القيم والحقيقة وأشكال المعرفة بل هي الوسيط المانح للأشياء معانيها ودلالاتها المسورة بحدود اللغة (باركر، 2018) ،وقد قام الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) في الموسم الجامعي (1994-1995) بإلقاء محاضرة في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس متتبعا تاريخ الكذب وقد نُشرت هذه المحاضرة سنة 2004 في (دفتر ليرن جاك دريدا) إذ تساءل في هذه المحاضرة عن إمكانية تشكيل تاريخ خاص بالكذب، وقد خرج بثلاث فرضيات شكلت المحاور الرئيسة لتحليلاته؛ **وهي:**

1- وجود علاقة جوهرية بين الكذب والقصدية.
2- استحالة البرهنة الصارمة بأن أحدا ما قد كذب.
3- استحالة الكذب على الذات. (دريدا، ، 2018م)

إن (دريدا) هو صاحب مفهوم (الأبوريا) (المسيري و التريكي، 2003م)، والذي يعني الهاوية التي تسقط فيها المعاني فلا تصل إلى قرار ولا تستقر على قاعدة أو مركز؛ فهو ضد تمركز المعاني وضد القواعد القارّة كلها، ولكنه ومع هذه الضدية الصارمة وقع في النسق.

فهل حاول الكذب على نفسه؟! وهو القائل باستحالة الكذب على الذات، وقد تمثَّلَ وقوعه النسقي هذا حين قَبِلَ الدكتوراه الفخرية من جامعة (كمبريدج) البريطانية هذه الجامعة التي تشكل متنا ثقافيا، وتشكل مركزية معرفية؛ فأين كانت مواقفه من المركز ولزوم كسره؟ إنه النسق، وهو أي النسق ما وقعت فيه هذه الجامعة العريقة أيضا حين احتارت أين تُصنِف (دريدا) أتصنفه مستحقا لهذه الشهادة من قسم فلسفتها؟ الذي رفض الاعتراف بـ (دريدا) فيلسوفا أم من أقسامها اللغوية؟ التي لم تعترف بالرجل ألسُنِيًّا يأتي تكريمه من عنوانها الألسني ما دفع هذه الجامعة ولأول مرة في تاريخها ذي الثمانية قرون أن تطرح موضوع منح هذه الشهادة للتصويت في مجلس الجامعة الذي وافق على منح (دريدا) هذه الشهادة بفارق صوت واحد فقط،

- فهل تمأسس (دريدا) ورضخ للمركز واستقر المعنى لديه فلم يبق في الهاوية (الأبوريا) التي تبناها؟
- أم أنه كذب بقبوله بها؟ بينما هناك من رفضها قَبلَهُ ثباتا على الموقف مثل (سارتر) الذي كان ضد الرأسمالية (الغذامي،، 2012) ومراكز الهيمنة.

لن يجيبنا عن استفهامنا المتقدم غير قصد (دريدا) ونيته في هل كان كاذبا في مدعاه؟ أم أنه سقط في حبائل النسق؟

أي إن (دريدا) وحده من يملك مفاتيح الإجابة فالمرء كما لاحظ هو لا يكذب على نفسه، وعليه لا يمكننا البرهنة الصارمة على كذبه؛ فلقد كان بوسعنا الانتباه إلى عدم التزامه الحقيقة في رفض التمركز، ولكن يستحيل علينا إثبات كذبه لارتباط ذلك بقصده هو الذي لا يمكننا البرهنة عليه كما تقدم.

وأما (نيتشة) فقد افترض وجود علاقة متصلة بين الكذب والخطأ وبالشكل الذي يصبح فيه الكذب محايدا وبعيدا عن الاعتبارات الأخلاقية، وعند مراجعة الفلاسفة الغربيين للكذب فإنهم يعيدونه إلى المفردة اليونانية (Pseudos) أي (البسودولوجيا) وهذه المفردة ذات ظِلال معنوية ملتبسة فمداليلها تحيل فضلا عن إحالتها إلى معنى (الكذب) إلى (الزور) و(الخطأ) و(الحيلة) و(الإبداع الشعري) و(التدليس) و(الخداع) (دريدا، ، 2018م)،وقد كتب أفلاطون (في الكذب) مشترطا وجود ملكة الكذب في الكاذب وهذا ما رفضه أرسطو حين لم يجد أن شرط أفلاطون في وجود القدرة على الكذب مستوفيا لحدود هذا التعريف بل أضاف إليه ضرورة الرغبة والميل إلى الكذب وأن يُأتى به عن قصد، وأما (هايدغر) فقد أشار إلى أن كينونة الكلام حاملة لإمكانية الخداع في داخلها (دريدا، ، 2018م) ، وقد وافقت (حنة أرندت) (أفلاطون) في الكذب النبيل الذي يُمارَس لخداع العدو السياسي ومعالجة الحمقى حتى رأت أنه ((مفيد لهم كما الدواء الذي يصفه الطبيب وحده)) (الشريف،، 2019)، وهي بذلك تشير إلى كون الحقيقة غير مقنعة في حد ذاتها لذلك فإنها تجعل من هذه الحقيقة في حيازة النخبة (الأقلية) التي تحاول على الدوام ممارسة الإقناع على الكثرة ((لكن بما أن (الكثرة) تندفع دوما إلى تصديق أي شيء غير موثوق فيه تقريبا، فإنه يمكن إقناعها بتصديق الحكايات الزائفة التي يرويها الشعراء والتي تحمل دلالات مهمة لحقيقة معينة تعرفها (القلة) وحدها)) (الشريف،، 2019) ، وقد مال (روسو) قبل ذلك إلى هذا الرأي فالشخص الذي لا يسرد ((حكاية خيالية إلا من أجل الحكاية نفسها، ليس بكاذب بأيّ حال من الأحوال)) (روسو،، د.ت) بل إن (روسو) يشير إلى أن إخفاءنا لحقيقة لسنا ملزمين بها لا يعد كذبا ويضرب لذلك المثل الذي يقول: إن إعطاءنا العملة المزيفة لمن ليس له في ذمتنا شيء لا يعد كذبا ((فنحن بالتأكيد نخدعه ولكن لا نختلس منه شيئا)) (دريدا، ، 2018م) وبناء على هذا وجد (روسو) في كذبة (أفلاطون) الأسطورية والتي سنحللها ليست كذبة بالمرة بل هي مثل القصص الخيالية التي تستهدف العبرة والأخلاق فوجد في تلك الأسطورة ضرورة عدم توصيفها بالكذب أو إخفاء الحقيقة بل هي حقائق نافعة في قوالب جمالية، والجمال في منهجنا الثقافي حامل كبير من الحوامل النسقية التي تسمح بتمرير الأنساق وإكساب المقدسات قيمها الترجيحية حتى تحتل النفوس من البوابات العاطفية مخترقة بذلك ومتجاوزة في الوقت نفسه القدرات العقلية الناقدة فالأنساق تتكئ على الجوانب غير الواعية في عقلنا الباطن وتتجاوز العقل الواعي من خلال الألوان العاطفية التي يعشو أمامها الوعي البشري الجمعي ما يسمح بمرورها مباشرة إلى اللاوعي النسقي الذي سيتعهد الرواية الأسطورية بالتصديق والإيمان والممارسة دون جرأته على تكذيبها أو تحليلها عقليا وهذا ما انتبه إليه (أفلاطون) حينما مرر أفكاره السياسية التي أراد إشاعتها في المجتمع بعد أن غلفها بالسرد الأسطوري الذي يحتل القدسية في نفوس المتلقين ذلك السرد الذي يستجلب شيئا قد تداولته الذاكرة البشرية بالحفظ والرعاية فأخذ ما يكتبه الشعراء ويتداوله الفنانون من أسطورة فينيقية قديمة تشير إلى كون الناس من معادن مختلفة كي ينشر فكرته في العدالة على سطور هذه الكذبة المتداولة فهي قد اكتسبت في أذهان الناس القيمة التداولية المستقرة بفعل قطعها شوطا زمنيا طويلا من حيث تعهدها بالحفظ والمراجعة والتكرار ما سيدفع عنها المحاكمات الواعية لدى الأكثرية حين سيصدرها (أفلاطون) بقوله: ((إن الناس أخوة؛ لأنهم خرجوا جميعا من الأرض. غير أن الله، الذي فطرهم ، خلقهم من معادن مختلفة؛ فمزج تكوين أولئك الذين يستطيعون الحكم بالذهب، ثم مزج تكوين الجنود والمحاربين بالفضة، وتكوين الفلاحين والصنّاع بالحديد والنحاس)) (أفلاطون، 1947م) وقد أوضح (أفلاطون) بأن هذه الأسطورة معروفة لدى اليونانيين بل إن الشاعر اليوناني (هزيود) ذكرها في كتاب (الأعمال والأيام) والذي أراده (أفلاطون) من هذه (الكذبة النبيلة) أو (الكذبة الكبرى) كما سمّاها (إريك فويجيلين) من غير أن ينفي عنها دلالات النبل (الشريف،، 2019) هو أن طبقات البشر المفطورين منها هي مَن تؤهلهم كي يكونوا حكاما، أو حراسا، أو عمالا وحرفيين، وبرر ذلك إنه من أجل تحقيق الانسجام والتلاحم الاجتماعي والسياسي بين الطبقات المجتمعية ثم إن ((تسويغ أفلاطون للأكذوبة هو تسويغ سياسي بالدرجة الأولى، وليس تسويغا أخلاقيا؛ الأمر الذي جعله يعلق أهمية كبيرة على الأكاذيب لأهداف سياسية وتربوية خالصة، ومن ثَمَّ فإن أهمية هذه الأسطورة في هذه الناحية نابع من كونها بمنزلة عنصر من عناصر الضبط الاجتماعي)) (الشريف،، 2019) وعليه فإن (أفلاطون) في كذبته هذه أشار إلى ضرورة اللّا مساواة في دولته الفاضلة وإلى وجوب المحافظة على الفوارق الطبقية بين البشر فالعدالة وفق نظرته هذه لا تعني المساواة كما يتوهم البعض وعليه فقد

نقض وهم هذا البعض بأسطورة وهمية تمرر أفكاره الفلسفية وهذه هي الوسيلة الثقافية الأبرز للشيوع والانتشار وهي تمرير النسقي بعباءة الجمالي فـ((لكي تخرج المدينة الفاضلة إلى الوجود، لابد من إقناع الحكام، والجنود، ثم بقية المواطنين... بأنهم في الواقع لم يولدوا ويتعلموا إلا في باطن الأرض، وأن أمهم الأرض بعد أن صاغتهم وكونتهم، قد بعثت بهم إلى النور، وأن عليهم الان أن ينظروا إلى الأرض التي يسكنوها وكأنها مربّيتهم، وأن يذودوا عنها إذا هاجمها أحد، ويعُدُّوا بقية المواطنين أخوة، خرجوا من بطن الأرض نفسها)) (أفلاطون، 1947م) فكل فرد بحسب (أفلاطون) له دور فطري محدد، وإن العدالة نتاج للاعتدال والتوازن بين الطبقات التي لكل طبقة منها فضيلة تميزها عن غيرها ففضيلة طبقة الحكام والفلاسفة هي (الحكمة)، وفضيلة طبقة المحاربين هي (الشجاعة)، وفضيلة طبقة الصناع والحرفيين هي (الاعتدال) (الشريف،، 2019) وقد وجد (سقراط) بأن هناك ضرورة ملحة لترويج هذه الكذبة وإقناع الناس كلهم بها بما في ذلك الحكام أنفسهم، وذلك عندما وجه التساؤل التالي لـ(جلوكون): ((هل يعرف أي وسيلة يمكن من خلالها بث الإيمان بهذه الأسطورة –فأجابه جلوكون– لست أعرف أية طريقة لترويجها للجيل التالي سوى أن يقوم الاباء والحكام على السواء بدفع المواطنين الحاليين إلى تصديقها، ومن بعدهم ذريتهم في المستقبل –فقال سقراط إن– هذه وسيلة فعالة، وستساعد على تحقيق العدالة، بل وخلاص المدينة بأكملها)) (الشريف،، 2019) ، وهنا نتساءل هل توافرت هنا قصدية الكذب والتي كانت معيارا للكثيرين في تمييز الكذب عن غيره أم أنها النيَّة الصالحة مَن دفعت الذين ذكرناهم من المفكرين أن يَصِفوا كذبة (أفلاطون) بأنها (نبيلة) بعدما لم يستطيعوا أن ينفوا عنها اصطلاح الكذب المُرتَهَن بالوعي والقصد المتوافرين في كذبة (أفلاطون) الأسطورية.

والسؤال المتقدم متناسل عن أسئلة لا نهائية سابقة له ولاحقة عليه في علاقة اللغة/الإنسان والكذب فـ((في اللغة الألمانية، كلما كان المرء مهذبا، كان كاذبا)) (فاينرش، 2015) وهذا القول للكاتب المسرحي الألماني(يوهان فولفغانغ فون غوته) في مسرحيته التراجيدية (فاوست)، وأما الكاتب والفيلسوف الفرنسي (فرانسوا ماري آروويه) المعروف بـ(فولتير) فإنه يرى النقص متأصلا ((في كل اللغات كما أن النقص متأصل في كل البشر)) (فاينرش، 2015) ، وقد استغاث الكاتب والمؤلف المسرحي البريطاني (وليم شكسبير) الربَّ حين قال: ((إلهي، كم ألسنة البشر ملأى خداعا)) (فاينرش، 2015)

ويتقاسم الكذبَ معيارا الجمال والقبح الفلسفيان وقد مررنا على بعض من جانبي هذا المقسوم عليه بالمعياريين المتضادين فمرة يكون الكذب علاجا ناجعا للحمقى وللاعتدال السياسي وللبلاغة الأدبية ومرة أخرى تظهر عليه خصائص القبح الأدبي والفلسفي الذي ((يستثمر في كل ما هو هزلي، مقزز، مشوه، غير طبيعي، عبثي، مسرف في الخيال والوهم، جامع بين الهزلي والمرعب فيما يتعلق بالوجود الإنساني ... فالقبح يهدف إلى تصوير العالم في غرابته أو غربته)) (الرويلي و البارعي، 2002) وأبرز السمات التي يتمحور حولها القبح هي: (الرويلي و البارعي، 2002)

1- الهزلي والمرعب بشكل متلازم بين هاتين الصفتين.
2- النشاز وعدم التناسق.
3- الإسراف والمغالاة.
4- التشويه الخارج عن المألوف.

وبإسقاط السمات المتقدمة للقبح يستطيع القارئ الثقافي تمييز التلقي العام لمفردة الكذب من حيث التحيز النسقي الواصف لها والمتعامل معها انطلاقا من رؤيتها جميلة أو قبيحة من حيث جماهيرية الكذب أو عكس ذلك، وبما اننا في الزمن الفلسفي الغربي – بمعنى أن الرعاة الفلسفيين هم الغربيون– فإننا نرصد في ورقتنا البحثية المتناولة للكذب مصطلحَ (ثقافة الجسد) الذي شاع في الدراسات الثقافية المعاصرة والاشتغال المتسارع لتمويه الجسد باللباس المختلط من حيث اشتراك الجنسين البشريين في هويته، والتمويه الراسم بفرشاة الكذب على وجوه الإناث والذكور، وشيوع الهندسة الجينية، والجراحة التجميلية، والتغييرات الهرمونية والدوائية، والتكنولوجيا الدقيقة، والجراحة الترقيعية (الخليل،، 2022) وغيرها الكثير مما يقف الرصد دون إدراكه لتسارعه وتنوعه في ثقافة جسدية تعتمد الجمالي الكاذب أو المتحول في الجسد الإنساني فلسفة تعلي صفات على حساب صفات أخرى حتى لنرى صفات كانت في ثقافات سالفة قبحية تتحول إلى صفات جمالية وأخرى كانت جمالية وقد تحولت إلى قبحية فالسلطة التي تعطي الكلمة أحقيتها هي السلطة المنتصرة وهي كما أشرنا غربية لانتصار الفلسفة الحداثية والما بعد حداثية على غيرها فبينما نبحث عن الصدق يجول الكذب ويصول في العالم كله تحت أردية الجمالي والمتحضر والمقدس الفلسفي أو العلمي، وبما اننا في صفحة الجسد الإنساني فلا بد من

الإشارة إلى كون جسدنا البشري في أصل فطرته صادق يظهر مؤشرات الكذب إن مارسها صاحبه كما إنه جسد شخصي نعم ولكنه في الوقت نفسه جسد اجتماعي مُتَنَمِط بصورة متناسبة مع القيم المجتمعية، وقد وضع المنظرون السوسيولوجيون المعاصرون نظريات وأفكارا مؤداها أن الجسد مستقبل للدلالات الاجتماعية، عوضا أن يكون منتجا لها، وقد أشار ما بعد البنيويين من علماء الاجتماع إلى أن التصنيفات اللغوية هي التي تحدد خبرتنا الجسدية (شلنج، 2009)وسبب مرورنا على الجسد وكيفية تشكله وعلاماته الإشارية هو عنوان الكذب وكيف يتعامل هذا الجسد الإنساني سوسيولوجيا و سايكولوجيا مع موضوع الكذب ولقد بين (فوكو) بأن الجسد محكوم باللغة المستخدمة أو الخطاب السائد وعليه فإن كان جسدنا في صورته الفطرية يظهر العلامات على الصفحات الجسدية للكاذب فإن الخطاب السائد يكيف هذا الجسد بحيث يتعامل مع الكذب ليس بوصفه شيئا خاطئا بل بوصفه طبيعيا ما يمنع ظهور سيميائيات التنبيه الدالة على الكذب عند محترفي الكذب، وقد طورت (ماري دوجلاس) مفهوما أنثروبولوجيا في ((الجسد يرى فيه مستقبلا للدلالات الاجتماعية ورمزا للمجتمع)) (شلنج، 2009) وإذا كانت الأجساد قبل عصرنا الحالي متنوعة ثقافيا تبعا لبيئاتها الثقافية ما يجعل لغتها الجسدية متنوعة كذلك بحسب تلكم الثقافات فإننا في هذا العصر متجهون إلى أحادية تعبيرية وتنميطية واحدة للجسد الإنساني وذلك لأنه في مثل هذه الظروف التي نعيشها ((ثمة نزوع شطر الانشغال بعولمة الجسد... وعلى رؤى قيمة في علاقة الجسد الاجتماعي بالجسد الفردي– إلى درجة– تقوم أحيانا بدمج هذين الجسدين عبر اختزال فينومونولوجيا الجسد الفردي–سبل عيش الناس، واختبارهم وإدراكهم أجسادهم– في أوضاع وتصنيفات يقوم الجسد الاجتماعي بتوفيرها)) (شلنج، 2009) ويرى (فوكو) أن الجسد ليس مستقبلا فقط للدلالات الاجتماعية عبر الخطاب بل إنه مشكل كلية عبر هذا الخطاب فالخطاب هو المفهوم الأكثر أهمية في أعمال (فوكو) وهو معني أساسا باللغة (شلنج، 2009) ، وأما (موريس ميرلو بونتي) فقد غايرت كتاباته الفلسفية تراث الثقافة الديكارتية التي تفصل العقل عن الجسد؛ الذات عن الموضوع إذ دافع عن أهمية الوصول إلى فهم حسي، وأكد على أننا نوجد في العالم عبر أجسادنا (توماس و أحمد، 2010) ، وبما أن وجودنا في النظرة المعولمة فلسفيا عبر هذا الجسد فإنه وجود متكلم بلسان واحد هو لغة الجسد للمنتصر الفلسفي من الناحية المادية فالمهمشون غير موجودين في المتن الفلسفي العالمي أو كما تقول الفيلسوفة الرسولية (سيمون فايل): ((المعذبون لا ينصت إليهم أحد. إنهم أشبه بمن قطع لسانه، لكنه ينسى هذه الحقيقة أحيانا. وعندما يحركون شفاههم فإن الآذان لا تميز أي صوت. وهم أنفسهم سرعان ما يغرقون في العجز عن استخدام اللغة، ليقينهم بأنهم لا يُسمعون.)) (توماس و أحمد، 2010) ، وعلى الرغم من كون العولمة الجسدية في اتساع وانتشار ضارب ويستلزم هذا التوسع والانتشار ارتباط المعنى الفلسفي الغربي بالجسد الحسي المُعولَم، وآفة هذا المعنى العولمي كونه لا يتعامل مع الكذب والصدق من معيارنا الأخلاقي أو الديني ولكنه متعامل معه انطلاقا من فلسفات رأسمالية براجماتية؛ ولكننا وعلى الرغم من ذلك سنشير إلى أبرز سيميائيات الكذب الجسدية للأجساد الفطرية غير المتكيفة مع الكذب بوصفه فلسفة متبناة؛ فالأجساد الفطرية تُؤَشِرُ عليها علامات الكذب إذ إن الجسد البشري يعمل بصورة مضاعفة في حالة الكذب فيتوتر ويقوم الجسد الكاذب بإفراز مادة الكورتيزول وهي مادة محفزة بشكل كبير، وإذا كانت الكذبة كبيرة فيفرز دفعة كبيرة من الأدرينالين، نظرا لكون الحقيقة في الجزء المنطقي من الدماغ البشري والكذبة في النصف الآخر من الدماغ وهو النصف المسؤول عن الخلق والإبداع والتأليف؛ وهنا يحاول العقل الموازنة بين الجهتين ما يدفع الجسد للعمل بشكل مضاعف كي تظهر الكذبة مقنعة للمتلقي وهنا يقوم الجسد الكاذب بزيادة عدد نبضات القلب لمواكبة هذا الجهد بينما تتوسع العينان والمَسام تتعرق في حالة دفاعية لهذا الجسم الذي ترتفع فيه طبقة الصوت واستعمال الكاذب عبارات غير توكيدية مثل (على الأغلب، على الأرجح، من الممكن، تقريبا...ألخ) ما يدل على عدم ثقة الكاذب بما سيقول، كما أن الكاذب يتخلى في كثير من الأحيان عن استعمال ضمير الأنا في الاشارة إلى نفسه مستعيضا عنه بضمير الجمع مثل (نحن أكملنا الواجب) كما أن جمل الكاذب أطول من جمل الصادق فالكاذب يعمل على استطالة جمله من أجل أن يصدقه المتلقي، هذا فيما يتعلق بالأبعاد اللفظية، وأما الأبعاد الجسدية الأخرى فإن الكاذب يغير نمط النظرة الطبيعية مع متلقيه إما بتثبيت نظره بشكل مبالغ فيه نحو المتلقي أو بزيادة حركة جفنيه مع عظ الشفاه أو ترطيبها وهذا نتيجة الزيادة في الأدرينالين التي تسبب الجفاف في بعض مناطق الجسد ما يدفع الكاذب إلى شرب كميات كبيرة من الماء في محاولة لدفع الجفاف عن جسده كما أن أطراف الكاذب كفيه وقدميه تعيشان حالة من التوتر فيمارسان انقباضات أو يحاولان الاتكاء بشكل بارز أو استعمال السبابة بصورة هجومية صوب المتلقي وفي الوقت نفسه يحاول الكذابون المحترفون إخفاء أيديهم أو أرجلهم كي لا تظهر عليهم هذه العلامات ويقوم الكاذب بلمس الرقبة أو الأذن أو الأنف كما أنه يحاول أن يحمي صدره ممن يكذب

عليه بالالتفات، وعدم المواجهة، أو بالتكتف، أو بوضع حاجز بينه وبين الآخر وهذه أبرز سيميائيات الجسد الكاذب (ميسنجر، 2014).

أما أكثر أنماط الشخصية الميالة للكذب فهي الشخصية غير الاجتماعية وهذه الشخصية تشيع بين الرجال أكثر من شيوعها بين النساء لكثرة الالتزامات التي يمارسها الرجال، بينما أشارت دراسات أخرى إلى تساوي الجنسين في الممارسة الكذبية، وقد أشار عالم النفس المعرفي (بياجيه) إلى تطور مفهوم الكذب مع تطور الأطفال معرفيا وأخلاقيا فميز بين ثلاث مراحل الأولى هي اعتقاد الأطفال بأن الكذب هو شيء خاطئ يوجب معاقبته عليه من الكبار ومعنى ذلك إمكانية الكذب إذا غاب المعاقِب، وأما في المرحلة الثانية فينتقل الطفل إلى الحكم على الكذب بكونه خاطئا في حدِّ ذاته، وأما في المرحلة الثالثة فيعد الكذب سلوكا خاطئا لتعارضه مع قواعد المجتمع ومبادئ الاحترام ومع المثل العليا والضمير وبناء على ذلك يكون الكذاب ميالا إلى لوم الآخرين والاعتداء ومخصوصا بقلة الجاذبية والتقلب المزاجي،

كما إن الكذب لكونه ظاهرة اجتماعية فبالإمكان تعليم الطفل الكذب عن طريق المحيطين به فوجهة النظر هذه تشير إلى كون الإنسان مفطور في أصل خلقته على الصدق وعليه يكون الكذب مرتبطا بأساليب التنشئة الاجتماعية القائمة على العنف والقسوة والسخرية وعدم احترام الآخر هذه الأساليب التي تولد نوعا من الميل نحو الكذب وعليه فأنماط التنشئة الاجتماعية التسلطية تعمل على تخليق الشخصية الكاذبة كما إن الكذب يعد وسيلة دفاعية لحماية الأشخاص من المواقف المحرجة أو لجذب الانتباه وهناك من يرى أن نسبة الكذب تكون أكبر في المستويات الاجتماعية الدنيا منها في الطبقات العليا أو الوسطى كما يشير الاتجاه النفسي إلى ثلاثة أنواع للكذب:

1- سلبي: عند إرادة إيقاع الأذى بالآخرين ويقوم هذا النوع بإشباع حاجات ونزعات داخلية للفرد كأن يكون أنانيا أو مغرورا أو عدوانيا.
2- محايد: وهو الذي لا يوقع الأذى على الآخرين.
3- إيجابي: وهو نوع نادر في الكذب والذي يستطيع الكاذب من خلاله جلب المنفعة للذات أو للآخرين من غير أي ضرر لاحق بالمجتمع أو الفرد. (سكر، 2023)

أما المبدعون فمنهم المتميزون بصفات وخصائص تتعلق بتقلب المزاج أو الميل للغرابة والابداع وعليه يكون الكذب انطلاقا من الرغبة في الاقتدار على اجتراح الابداع وكونه وسيلة دفاعية للتعبير عن فنهم، ففي الشعر يحضر الميل للمبالغة، وفي الرسم تتمظهر الاسقاطات الداخلية، وفي الموسيقى يبرز الهيام الصوتي، ومن ذلك ما قاله الشاعر الموصوف بالحكمة حتى قيل عنه (فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة)، وكلنا يعلم أنَّ الحكمة هي أن تضع الشيء موضعه، فهل الكذب الموسوم بالمبالغة الشعرية غير متعارض مع الحكمة الفلسفية في بيت نسقي يطرب له معظمنا ويردده جُلُّنا وهو قول أبي العلاء المعري:

وإنّي وإنْ كُنْتُ الأخِيرَ زَمانُهُ لَآتٍ بِما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائِلُ(المعري، 2023)

وهذا الغلو لم يتفرد به هذا الشاعر بل هو سمة فنية ثابتة فالكذب الإبداعي/المبالغة يُعدُّ مذهبا جماليا مرعيا بالحفظ والمداولة وقد أسند كبار النقاد وقدماؤهم هيكله بالتبريرات المُعلية من شأنه فقد قال (قدامة بن جعفر): ((إن الغلو عندي أجود المذهبين –ويقصد بالمذهبين الغلو في المعنى و الاقتصار على الحقيقة– وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال أحسن الشعر أكذبه، وكذا ترى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم)) (جعفر، د.ت:) ، وسنأتي فيما بعد على الرأي الغربي الذي أشار إليه (قدامة) في هذا القول بعد أن نكمل مرورنا على الساحة النقدية العربية القديمة وبعد أن نبين أن (قدامة) لم يعلل مذهبه في الغلو فنيا أو علميا ما عدا الإشارة إلى أن القدماء قالوا بذلك في إشارة نسقية واضحة لتمرير هذا النسق تحت عباءة القدسية الأبوية والإلفاء السلفي، هذه الألفة التي تدفع بالرفض أيَّ مُحاجَّة عقلية للمتبنيات النسقية حتى وإن كانت تلكم المتبنيات جاهلية المورد ومتعارضة مع القيم الدينية لصاحب الرأي نفسه فقد أجاب (النابغة الذبياني) حين سُئِلَ: ((من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد كذبه وأضحك رديه)) (الحاتمي، 2000) ، وقد بيَّن (قدامة) و(الحاتمي) وغيرهما من نقدنا القدماء أن الهيكل الشعري لا يقوم إلَّا على أساسات المبالغة بل إنهم استعاضوا عن مصطلح الكذب بمصطلح آخر يستساغ سماعه ويستعذب تداوله وهو مصطلح (الصدق الفني) فقد جعلوا الصدق صدقين:

1- صدق واقعي يكون الشاعر فيه ذاكرا تجربة حقيقية وواقعية وهو صدق غير مندوب إليه عند هؤلاء النقاد الذين لم يؤيدوا الوقوف عند الحد الأوسط في التجربة الشعرية ووجدوا هذا الوقوف والتوسط غير راق لما تفعله المبالغة والكذب في البناء الشعري.

2- صدق فني لا يشترط فيه صدق الحكاية بل جمال البناية اللغوية وإن كان بناؤها من لبنات الكذب وخيالات الأحلام، قال قدامة: ((ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد لا اعتقاده، إذ كان الشعر إنما هو قول، وإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد، لأنه قد يجوز أن يكون معتقد لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد، بحيث لم ينكروه وإنما اعتقدوه فقط، ولم يدخلوا في باب من يوصف بالشعر)) (جعفر، د.ت:) و(قدامة) وفريقه هنا يرون أن صدق التجربة لا تجعل المرء شاعرا بل من له قدرة المبالغة الوصفية في تضخيم التجربة الشعورية هو الشاعر، وهذه المبالغة التي روج لها النقاد والفنانون ليست نسقا عربيا محضا بل هي نسق بشري عام فالأصول التنظيرية لها يونانية كما أشار (قدامة) في بعض النصوص المتقدمة وهي من المصطلحات الغربية الحديثة كذلك فـ ((المبالغة أو التضخيم أو التهويل (بالإنجليزية: Exaggeration) أو الكارثية (بالإنجليزية: catastrophization) هي الإفراط في تمثيل شيء ما، وقد اعتبر المبالغ أو المهول شخصيةً مألوفةً في الحضارة الغربية تقريبًا منذ حديث أرسطو عن شخصية ألازون: يعتبر الشخص المتباهي أن لديه ميزات واضحة في حين أن لا يمتلك هذه الميزات على الإطلاق، أو يمتلكها بشكل أقل مما يدعي)) (ارسطو، 2023) ،وهذا التوافق البشري على نسق المبالغة متأتٍ من كون هذه المفردة الخارجة من معطف الكذب ذات استجابات ثقافية عالية للرغبات الإنسانية والحاجات البشرية فالثقافة أطراس وهي تمثل انكتابا مستمرا بمعنى حضور الضوء والظل بشكل مستمر ومتواز على المتن الثقافي حتى اصطلح النقاد على ذلك بمصطلح التناص بعد أن كان ذلك موسوما بالسرقة والانتحال، وقد كتب قدماؤنا والمحدثون في هذا الباب ما لا يحصى، ابتداء من رفضهم لمن يكذب على الآخرين بنسبة ما لغيره إلى نفسه مرورا بتقسيمهم لهذه السرقة والكذب على أنواع (الجاحظ:، 1987) ثم تسامحهم مع هذه السرقات الفنية التي يعنونها الكذب بالنسبة إلى الذات شيئا ليس لها فلقد أشار (الآمدي) إلى هذا الموقف المتسامح من هذا النوع من الكذب معللا موقفه هذا بأنه ليس بدعا بين آراء النقاد؛ لأن من أدركه من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر (العريان، 1940م) بحسب رأيه حتى وصلنا في عصرنا إلى عنوان التناص الذي شابه المقولة التراثية سقوط الحافر على الحافر في إجازات تبيح الكذب ونسبة الشيء لغير قائله تحت مسوغات متنوعة ولكنها تعود في أصلها إلى رحم الكذب فالأفكار قد تم تأويل سرقتها بأردية لغوية متعددة؛ فهي تعاود الحياة تحت عنوانات متعددة وأسماء تدعي نسبتها لها، يقول (شوبنهاور) إن: ((الأفكار تموت لحظة تجسيدها في كلمات)) (الشبة،، 2018) وهنا لن نناقش هذه المقولة فلسفيا بقدر ما سنسلط الضوء على بقاء فكرتها حية في لباس لغوي عربي وفي جنس أدبي عدل بها من النثر إلى الشعر ومن قائل إلى قائل آخر إذ قال لاحقا نزار قباني:

كَلِماتُنا في الحُبِّ .. تقتلُ حُبَّنَا

إن الحروف تموت حين تقال..

لم تمت فكرة (شوبنهاور) حين جسدتها الكلمات بل تداولها الفلسفيون والشعراء والمحبون وها نحن نتداولها الآن في بحث عن الكذب ويمتعنا بقاؤها حيَّة على لسان شاعرنا العربي الذي طلب في مطلع قصيدته الشاهِدة على التناص والكذب من حبيبته:

قُلْ لي – ولو كذباً – كلاماً ناعماً

قد كادَ يقتُلُني بك التمثالُ

إنه يطلب الكذب الذي يسدُّ حاجته، فالصمت بحسبه –وهو ليس فردا بل انكتاب لنسق بشري كامل– موت وعدم الحضور فناء، بينما اللغة بكذبها وصدقها حياة، لأنها حضور فيزياوي، وتمثل ذهني، وتجسد فكري.

إنها لعبة اللغة وغواية الكلمات؛ فالكلام ليس بعدا تواصليا فحسب بل هو بعد تسلطي يحاول من خلاله طرفا التحاور فرض السلطة والانتصار في اللعبة اللغوية بل الأكثر والأشد من ذلك إن هذه السلطة اللغوية ليست منحصرة بين طرفين متحاورين أو أكثر، إنها تدور بين الإنسان نفسه وذاته كما يوضح ذلك (رولان بارت) حين يقول: ((ونحن لا نرى السلطة القائمة في اللسان، لأننا ننسى أن كل لسان هو تصنيف قمعي...–بل إن داخل هذا اللسان سلطتان–:سلطة الإثبات والتوكيد القطعي، ثم الطابع القطيعي للتكرار...فأنا سيد وعبد في الوقت ذاته: إنني لا أقتنع بتكرار ما قيل، ولا بالخلود إلى الراحة وعبودية العلامات، إنني أقول ما أكرره

وأؤكده، وأنقده.)) (الشبة،، 2018) ورأي (بارت) يقاربه السوسيولوجي الفرنسي (بيير بورديو) ويغايره في الوقت نفسه فهو يتفق مع (بارت) في كون اللغة سلطة ولكنه يراها سلطة مرتبطة بمتكلمها وبالمؤسسات والسياقات الاجتماعية التي تتداول هذا الخطاب اللغوي مستبعدا أن تكون للكلمات سلطة في حدِّ ذاتها (الشبة،، 2018) ، وعند مناقشة هذين الرأيين نذكِّر أنفسنا وقارئنا الحصيف إننا إزاء سلطتين لغويتين هنا، يحاول كل طرف منهما حيازة الإجابة لكلماته ومعتقده وعليه فإننا لن نفصل بينهما وسنبقي على اشتباكهما اللغوي هذا مستخلصين منهما أن الكلام سلطة، وهذه السلطة تمزج بين الصدق والكذب وصولا لانتصارها المأمول، وقد أشار (إدوارد سعيد) إلى هذا الاشتباك الذي يُلبِس الحقيقة بالكذب لتسيير السلطة مراداتها تحت أردية مُوهِمَة في كتابه (المثقف والسلطة) إذ ابتدأ أحد فصول كتابه (سعيد،، 2006) هذا بواقعة حدثت له مع أحد طلبته في (جامعة كولومبيا) حيث قدم الطالب نفسه لـ(إدوارد سعيد) بفخر كونه طيارا محترفا وهو مشارك في الحرب ضد (فيتنام) وحين ألح (سعيد) على معرفة تخصص هذا الطالب/العسكري الدقيق أخبره الأخير بأنه **محدد أهداف** وهنا استعمل الطالب لغة السلطة المواربة التي تُلبِس الحقيقة دون أن يقول إنه يقصد بهذا التعبير **قاذف قنابل** وقد أشار (سعيد) معلقا بأن طالبه ((غلَّف وصفه لهذا العمل...بلغة الحرفة التي كانت ترمي، بمعنى من المعاني، إلى استبعاد **الدخلاء** وتقليل محاولات التحري والتقصي المباشرة من جانب **الغرباء** عن الحرفة فهم فضوليون حقراء...)) (سعيد،، 2006)، و(سعيد) علق بشكل جمع بين السخرية والحقيقة عن تصور السلطة للباحثين عن الحقيقة بكونهم فضوليين حقراء؛ ولذلك يشير إلى ضرورة التزام المثقفين من أجل الحفاظ على واجبهم الأخلاقي اتخاذ مواقف الهواة لا المحترفين في الأبعاد الثقافية قاصدا بذلك عدم تحول المثقف إلى استشاري توظفه السلطة عندها فتكون حرفته الثقافة ما يغري بتعطيل الحاسَّة الأخلاقية لدية نتيجة براجماتيته التي ستدفعه إلى تدليس الحقيقة؛ وعليه فهو يحرض إلى التزام الهواية الثقافية على حساب الاحتراف الثقافي (سعيد،، 2006) ليقول: ((لا أرى أن دراستي المهنية للأدب تلزمني بالاقتصار عليها والابتعاد، من ثم، عن شئون السياسات العامة، أي لمجرد أن الشهادات العلمية التي أحملها لا تؤهلني إلَّا لتدريس الآداب الأوربية والأمريكية الحديثة. إنني أكتب وأتحدث عن أمور أوسع نطاقا من هذا لأنني من الهواة المتواضعين...))(سعيد،، 2006) ومن هذا المنطلق يطرح(سعيد) سؤالا مهما يواجهه المثقف، وهو: كيف يقول المرء الحق؟ وأي حق تراه؟ ولمن وفي أي مكان؟

إنه سؤال المنهج، المنهج الذي يجب أن يسير عليه المثقف عند استعماله مطرقة الحقيقة، ويجيب (سعيد) بأن ((الوحي والإلهام...وسائل أو طرائق لها جدواها التي لا شك فيها لفهم ما يجري في الحياة الخاصة، ولكنها قد تأتي بالكوارث...إذا استخدمها ذوو التفكير النظري من الرجال والنساء...)) (سعيد،، 2006) ، فاستدراك (سعيد) كان معللا بأن ((الأوصياء على الرؤية المقدسة أو النص المقدس، ضروب عدوانهم لا يحصيها العدُّ، وهراواتهم الغليظة لا تقبل أي خلاف ولا تسمح قطعا بأي تنويع أو تعددية)) (سعيد،، 2006) ، وإن عاب (سعيد) على الوحيانيين تسلطهم على الحقيقة، فالأمر نفسه لاحق بالرؤى المُعَلمَنَة التي تدعي الحياد والموضوعية إذ إن الموضوعية (حُلُمٌ نبيل) كما أسماها المؤرخ الأمريكي (بيتر نوفيك) في مُؤَلَفِه (الحلم النبيل، مسألة الموضوعية) والذي صَّور الحيرة أو المأزق الذي نواجهه عند بحثنا عن الموضوعية، نعم إنها مسألة غير قابلة للتحقق كوننا كائنات ثقافية متأثرة بالسياق بمعنى الزمان والمكان والإنسان فهذه العوامل متداخلة فنحن كما أشار (الغذامي) شبيهون بالبرمجيات الحاسوبية (الغذامي، 2012) فمخرجاتنا النسقية متأثرة بالمدخلات السياقية التي نعيشها.

أما الحلم الذي دعا إليه ذوو التوجه البارتي– نسبة إلى رولان بارت– في التفكير في درجة الصفر وإزاحة المسبقات الحكمية فهو ضرب من الخيال وحكاية خرافية يتوهمها الحالمون وهذه ليست فكرة سوداوية بقدر ما هي فكرة تشخيصية تَشِمُ أحكامنا بالريبة والظنية كي لا نقع تحت التقديس الاحتكاري للحقيقة، بل إن مجموعة من الفلاسفة ربما أبرزهم (فوكو) ((يقولون إن مجرد الحديث عن وجود مؤلف لأي عمل كقولك مؤلف قصائد جون ملتون يعتبر مبالغة مغرضة إلى حد بعيد، إن لم تكن أيديولوجية أيضا)) (سعيد،، 2006) ، وهذا الظن المشكك في الحقيقة هو **أول** خطوات تمحيص الحقيقة؛ لتلحقه بعد ذلك خطوةٌ **ثانية** هي ضرورة عدم إخضاع المسائل أو الأفراد أو المجتمعات لقيم تفضيلية أو مراتب هرمية ظاهرية أو خفية عند الحكم عليهم، وأما الخطوة **الثالثة** فهي ضرورة الاتساق وعدم التناقض عند العبير عن قضية معينة ((فالغرض من الكتابة أو الكلام لا يتمثل في تبيان أن المرء على حق أو إثبات أنه مصيب، بل في محاولة إحداث تغيير في المناخ الخلقي يكفل لنا أن نرى العدوان عدوانا)) (سعيد،، 2006) وقد اصطلح الفيلسوف الأمريكي البراجماتي (سي إس بيرس)على هذا المنهج بـ(الاختطاف) وقد نجح (نعوم تشومسكي) بانتهاجه هذا المنهج وتعريته زيف

السلطات الغاشمة وأكاذيبها فاختطف الحقيقة من احتكار السلطة لها إلى ساحة المثقف المختَطِف للحقيقة بوصفه طبقة قادرة على رفع التلقي العام إلى المتن المتنور وإن كانت هذه الرافعة الطبقية تعاني من التلقي العام المدفوع إلى تصديق ما تنتجه السلطة بوصف الأخيرة تعمل على احتكار الحقيقة على الدوام، وكما يقول (أفلاطون): ((إذا كان الصدق شيئا جليلا ورائعا وخالدا فإنه ليس من السهل إقناع الناس به)) (أفلاطون، 1986)، وعليه يشبه (أفلاطون) الادراك الإنساني للحقيقة بسجن داخل كهف في (أسطورة الكهف) التي تكلم عنها في بداية الكتاب السابع من (محاورة الجمهورية) والتي تظهر الإنسان محبوسا من ناحية تصوراته للحقيقة داخل كهف ((يرمز إلى أن النفس الإنسانية في حالتها الحاضرة، أي خلال اتصالها بالبدن، أشبه شيء بسجين مقيد بالسلاسل، وضع في كهف، وخلفه نار ملتهبة تضيء الأشياء وتطرح ظلالها على جدار أقيم أمامه، فهو لا يرى الأشياء الحقيقية بل يرى ظلالها المتحركة، ويظن بها حقائق.)) (صليبا، 1982)، فالعالم المحسوس الذي يعيشه الإنسان في هذه الأسطورة هو الكهف، ((والظلال هي المعرفة الحسية، والأشياء الحقيقية التي تحدث هذه الظلال هي المُثُل.)) (بكري، ،د.ت) أو القيم الصادقة، وقد بيَّن (ستانلي روزن) إن هذه الأسطورة ذات دلالات نفسية لأنها تتعامل مع الإنسان في تصور تصاعدي من عالم الصور والظلال إلى عالم الأفكار الخالصة والمثل العليا أي الحقائق في ذاتها (الشريف،، 2019) ، في حين كانت أسطورة المعادن الثلاثة ذات دلالات سياسية، ونلاحظ في أسطورة الكهف الأفلاطونية أمرين:

– الأول: إن الحقيقة تتراتب على ثلاث مستويات، وهي:

أ/ مستوى العقل أو الفهم.

ب/ مستوى الاعتقاد.

ت/ مستوى التخيل.

– الثاني: إن بين أسطورتي (المعادن الثلاثة) و(أسطورة الكهف) تواشجا قصديا متوجها صوب جوهر الحقيقة أو الترويج لطبيعتها وقد بيَّن (جونثان لير) هذا التواشج حين رأى ((أن أسطورة الكهف مجرد إعادة صياغة للأكذوبة النبيلة التي تحويها أسطورة المعادن، ولكن بصورة أخرى؛ فإن كانت أسطورة المعادن موجهة إلى الأطفال، فإن أسطورة الكهف موجهة إلى الأفراد البالغين)) (الشريف،، 2019).

إن الموقف الفلسفي من الكذب كان على الدوام قريبا من التوجهات الأفلاطونية التي تراه مُبَرَّرا في سبيل رفع التلقي العام إلى النافع والمفيد وفي نظرته إلى صعوبة فهم التلقي العام للحقائق الجوهرية إلى الحد الذي لا نعثر فيه إلا على اسمين فلسفيين شهيرين عارضا هذا التوجه السائر مع الكذب النبيل أو الكذب غير الضار وهما (أوغسطين) و (كانت)، وهذا ما أيدته (ليزا.ج.ليرمان) حين قالت: إنَّ ((أوغسطين وكانط هما أكبر من تبنى الموقف الفلسفي الذي يقضي بأن الإنسان يجب عليه قول الحقيقة والتزام الصدق دائما)) (الشريف،، 2019)، ولقد كانت أبرز مسوغات (أوغسطين) الرافضة للكذب بكل أنواعه محصورة بحسب قوله في أنَّ:

– الكذب آفة ذات قدرات شريرة متنامية فـ((إذا ما بررنا الكذب في بعض الأحيان، فسوف ينمو هذا الشر، ويتزايد شيئا فشيئا، حتى يتحول إلى مجموعة ضخمة من الأكاذيب، وسيكون من الصعوبة مقاومة هذه الآفة بهذه الدرجة العالية من الخطورة)) (الشريف،، 2019).

– الكذب بكل أنواعه رذيلة أخلاقية والكاذب مرذول فمن الخطأ الظن ((أن هناك من الكذب ما لا يُعَدُّ رذيلة؛ لأنه يخدع نفسه عندما يعتقد أنه إنسان فاضل، وهو مضلِّل للآخرين)). (الشريف،، 2019)

– الكذب عَتَبَةٌ لشرور أخرى؛ لأنه ((يفتح الباب على مصراعيه لكل أنواع الشرور والجرائم كالقتل، وتدنيس المقدسات، وغيرها)) (الشريف،، 2019).

ولكن (أوغسطين) وبعد أن بَيَّنَ مسوغاته المنطقية الرافضة للكذب بكل أنواعه يستدرك سامحا بنوع من أنواع الكذب الذي يَسِمُهُ تحت عنوان (الخطيئة التعويضية) والذي يقدم له متسائلا عن موقفك من لاجئ احتمى في بيتك من سفاح يريد قتله وقد سألك السفاح عن وجوده في بيتك، فهل يجوز لك الكذب من أجل إنقاذ حياة الشخص البريء؟

إن أجبت صادقا سيفقد الشخص البريء حياته، وإن لم تجب بصدق فأنت كاذب، ويجيب (أوغسطين) عن هذا التساؤل بحكايتين واردتين في الكتاب المقدس وهاتان الحكايتان تثنيان على الكذب من منطلق إنساني ((وهما حالة القابلات العبرانيات اللاتي كذبن على فرعون من أجل إنقاذ الأطفال العبرانيين من الهلاك، وحالة (راحاب) التي كذبت على ملك أريحا بإنكارها أنها خبأت جاسوسين من

بني إسرائيل على سطح منزلها)) (الشريف،، 2019) وهنا يشير (أوغسطين) إلى كون هذا الكذب خطيئة ولكنها تعويضية لأنها ترتكب من أجل خير أكبر، وإن هذا الكذب يمكن اغتفاره، على الرغم من أنه ليس مشروعا من المنظور الأخلاقي، وأما (كانت) في أخلاق الواجب فقد وسع رفضه المطلق لمفهوم الكذب بكل أنواعه حتى وإن كان الكاذب لا يضمر نيَّةَ الخداع، أو إن هذا الكذب كان من أجل إنقاذ حياة الآخرين من المعتدين، فالكذب عنده رذيلة يرتكبها الإنسان ضد نفسه وضد الآخرين فهو يراه فعلا معدوم القيمة، و(كانت) يستمد موقفه هذا من العقل الإنساني المشترك بين الجميع بينما استمد (أوغسطين) موقفه من الكتاب المقدس، ويستنتج (كانت) أن المرء إذا كان صادقا في أقواله فهو أمين، وإن صدق في الوعد فهو مخلص، وأما الصدق بشكل عام فهو استقامة (الشريف،، 2019) ((وهكذا تفرض نظرية الواجب عند كانط أن لا يكذب الإنسان مهما كانت المسوغات وأيًّا كانت الظروف القهرية التي يجد الإنسان نفسه واقعا فيها، وبغض النظر كذلك عن النتائج الإيجابية المحتملة من ورائه، ومن ثم فلا وجود لما يُسمى بالكذب النافع، والنبيل، حتى كذب الطبيب على المريض غير مباح من هذا المنظور الكانطي...والكذب يمثل في حد ذاته نفيا لكرامة الإنسان)) (الشريف،، 2019)، وقد رأى (دريدا) أن (كانت) لم يحل بمثاليته وصرامته وأخلاق الواجب إشكالية الكذب بشكل وافٍ، وإن(أوغسطين) لم يحل إشكالية الكذب كذلك عند تقديسه للصدق ما دعا (دريدا) إلى تجاوز الثنائية القائمة على الصدق والكذب وأن يضع الناظر في الكذب الفرص المتاحة، والضرورات الافتراضية، والنتائج المحتملة وغير ذلك (الشريف،، 2019) ، وكذلك توقف (كونستان) من (كانت) موقفا رافضا لصرامته المثالية ونافيا أخلاق الواجب إذا تعارضت مع الحق، بمعنى أعطني حقي أعطك واجبك ((فإنه حيث لا توجد حقوق، فلا توجد واجبات. ومن ثم، فإن قول الحقيقة ليس واجبا إلا تجاه أولئك الذين لهم الحق في الحقيقة. ولكن ليس لأحد الحق في قول الحقيقة التي تؤدي إلى وقوع الضرر بالآخرين)) (الشريف،، 2019) ، وهكذا يتقلب الكذب في وجوه مختلفة حتى عند تأويله أو تفسيره أو البحث في مساربه المتعددة بل من الصعوبة أن يُجمِع الباحثون في شأن الكذب على تعريف جامع مانع له حتى قال (مونتاني): ((لو كان للكذب، كما هو الشأن بالنسبة إلى الحقيقة، وجه واحد لكانت العلاقات بيننا أحسن ممَّا هي عليه، فيكفي أن نحمل على محمل صدق نقيض ما ينطق به الكاذب منًّا، إلَّا أن نقيض الحقيقة له مائة ألف وجه ولا يمكن الإلمام كليا بالحقل الذي يشغله)) (دريدا، ، 2018م)، ووجوه الكذب التي تتمرد على الإحصاء شهدت حالة تطورية ففي السابق كان الكذب يحاول أن يمثل دور الحقيقة وأما في عصرنا الحالي فقد تطور ليأخذ دوره في كونه بديلا للحقيقة وذلك من خلال صناعة جديدة للحدث أو الوقائع المرصودة فقد تسلَّحَ الكذب المعاصر بالتقانة ولا سيما الإعلامية بوجوهها الفنية والأدبية المختلفة فالمعرفة العالمية التي شهدت تطورا هائلا في عصرنا الحالي أسهمت في ظهور الكذب بشكل مكتمل ونهائي بصورة لم يبلغها في العصور السالفة ففي عصرنا الحالي اكتملت تقانات التلاعب بالوقائع إلى درجة أسطورية يمتزج فيها الواقع بالخيال فأنت ترى وتسمع وتقرأ ولكنك على الرغم من كل وسائلك الإدراكية هذه تقع فريسة يَسوغُها الكذب بتقاناته المتطورة وغير المتناهية والتي كلما كشفتَ إحدى وسائلها أنشبت في تَلقيكَ وسائلُه الأخرى مخالب لا تُحصى ولا تعد، فعصرنا الذي نعيشه ذو طبيعة إعلامية تلقينية، وهذه الوسائل الإعلامية ليست بريئة أبدا إذ لا يوجد إعلام سائب أبدا فكل إعلام هو ذو طبيعة براجماتية تتوسل الكذب ابتداء من مواقع التصوير الديكورية إلى الأزياء المبالغ فيها والأجسام غير النمطية وصولا إلى الوجوه المُجمَّلة صناعيا أو طبيا لمغادرة الوجه الحقيقي كل ذلك من أجل أن يحل الكذب نبيلا أو رذيلا بديلا للحقيقة المهدورة، إذ ((لم يسبق للإنسان أن مارس الكذب بهذا الحجم وبهذه الطريقة المستمرة والمنسقة والوقحة التي يتخذها الكذب أيامنا هذه)) (دريدا، ، 2018م) ، وهذا لا يعني تبرئة الكذب في العصور السالفة فقد طرقنا أقوال اليونان في ذلك ونتوه إلى استساغة الشعراء والأدباء العرب له في السالف من العصور فقد قال ربُّ العزة جلَّ من قائل: ((وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ))[الشعراء : 224_226]، وإذا كان التواطؤ معروفا في الشعر على الكذب من المتلقين فإن هذا النسق الشعري الكاذب سار في الذوات المتشعرنة حتى رأى بعض الأدباء فضائل للكذب، وهذا ما عقد عليه (أبو حيان التوحيدي) القول في الليلة السابعة والثلاثين من كتابه (الإمتاع والمؤانسة) حين قال: ((وأما الكذب ففيه أيضا مصالح، كما أن الصدق ربَّما أفضى إلى كثير من المفاسد– وإن كان الصدق قد فاز بالوصف الأحسن، والكذب قد وُصِفَ بالنعت الأقبح– فكم كَذِبٍ نجَّى من شر، وكم صدقٍ أوقَعَ هُوَّة، وبقي الآن أن نعرفَ الصدقَ معَ أوانه ومكانه، فيُؤتى بِهِ أو يُنهى عنه، وكذلكَ الكَذِبُ على حَذوِهِ ومِثالِه)) (التوحيدي،، 2023)، وهكذا نرى للكذب مبرريه على اختلاف السياقات الثقافية زمانا ومكانا وإنسانا ما يجعل من تعريف الكذب متغيرا بحسب تلكم التغيرات الثقافية والمُنمازَة بعدم ثباتها وأما الحقيقة فلها وجه واحد وهو تصوير أو مطابقة الواقع بوساطة لغة

محايدة تعتمد الملاحظة (باركر، 2018) ، ولكن العقبة التي تبعد هذا التعريف عن حيز التحقق المُمَنهج عَولَمِيا كوننا كائنات غير صفرية كما بينَّا سابقا ما يجعل من الحياد حلما بعيد المنال وهذا ما دفع (ريتشارد رورتي) إلى الإشارة أن ((المعرفة ليست مرآة للواقع، بل هي بشكل طبيعي محصورة في الثقافة بطابعها. كما يرى عدم وجود موقع أرشميدي جيد يمكن للمرء من خلاله أن يتحقق من أي مطابقة مزعومة بين اللغة والواقع... بل إن كلمة الحقيقة من الأفضل فهمها كاستحسان اجتماعي بدلا من كونها صورة دقيقة للواقع.)) (باركر، 2018) ، وهنا استعملنا قول (رورتي) مرة ثانية في بحثنا هذا لنلاحظ كيف التفَّ الكذب على وجه الحقيقة حين استحالت مطابقة الواقع واكتفي بكونها استحسانا اجتماعيا مع كل ما يحمله الاستحسان الاجتماعي من تذبذبات ذوقية متأثرة بطبيعة الذائقة البشرية التي تستمرئ ما اعتادت عليه وإن كان ضارا وغير نافع فالاستحسان ربما يتعلق بالكذب وينفي الحقيقة كما في بعض الآراء المتقدمة إذ تعد الحقيقة تعريَة لأنساق مُؤلِمة للثقافة البشرية ولذلك تعمل تلكم الأنساق على تقييد الحقيقة وربط لسانها أو سرقة لباسها فالحقيقة ترفضها الأنساق الثقافية الموشومة بالرذائل الأخلاقية بينما يحثنا ديننا الإسلامي على قول الحقيقة وأن نكون مع الصادقين قال الله جلَّ وعلا: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ))[التوبة:119]، وذلك لأن الكذب هو رأس الخطايا وبدايتها، وهو من أقصر الطرق إلى التعاسة في الدنيا والآخرة، وهذا ما بينه النبي المصطفى(ص) حين قال: ((إيّاكم والكذِبَ، فإنّ الكَذِبَ يَهْدِي إلَى الفُجُورِ، وإنّ الفُجُورَ يَهْدِي إلَى النّارِ وَمَا يزَالُ العبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرّى الكَذِبَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذّابا))[رواه البخاري ومسلم]، وقد أكد الإمام علي (ع) على التزام الصدق منهجا بانيا للحياة السعيدة إذ قال: ((جانبوا الكذب ، فإنه مجانب للإيمان ، الصادق على شفا منجاة وكرامة ، والكاذب على شرف مهواة ومهانة)) (الحديد، د.ت) ، وهكذا رأينا الكذب في فضاءاته المُتلبِدة ذا ألسنةٍ نافثة بالتمويه ومغيرة للمطابقة الواقعية على حساب الحقيقة التي لم يدركها غير القول الفصل لمُنشِئ هذا الإنسان، والإنسان إن أراد الحقيقة التمسها في كتابنا الأكرم القرآن الكريم فـ((لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض))[المؤمنون: 71] ، والحمد لله الذي علَّمنا ما لم نَكُ نعلم وهدانا للتي هي أقوم شرعته التي أنارها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

النتائج والتوصيات:

– لا يحتاج الكائن البشري إلَّا إلى قدر قليل جدا من العقل لمعرفة الكلام على عكس الحيوان الذي لا يستطيع ذلك مهما بلغ من التطور والكمال بالقياس على أفراد نوعه، هذا من جهة مقارنة اللغة البشرية باللغات الحيوانية، وأما من جهة مقارنة اللغة بوسائل التعبير البشري الأخرى فإن ملكة الترميز عند الإنسان تبلغ أقصى تحققها في اللغة، التي هي التعبير الرمزي بامتياز، وكل أنظمة التواصل الأخرى، الخطية والحركية والبصرية...الخ، تتفرع عنها وتفترضها مسبقا، فاللغة هي النظام الرمزي الأكثر اقتصادا.

– الحقيقة ليست نقيض الكذب فقد تستعمل الحقيقة للكذب أيضا فتكون وسيلة بارزة من وسائله التدليسية، فنقيض الكذب هو الصدق، وليست الحقيقة بالضرورة.

– لم تتناول دراساتنا العربية اللسانية موضوع الكذب إذ ظل هذا الأمر شأنا فقهيا وأخلاقيا ما خلا التصريف اللغوي لمفردة الكذب، فقد انزوى هذا الموضوع بعيدا عن حلقاتنا اللسانية على الرغم من أهميته الكبيرة وشديد خطورته وتمثلاته التراثية والتداولية في مدونتنا الثقافية ما يستدعي رصده وتحليله لسانيا وثقافيا والحفر في ظواهر الازدواج الدلالي.

– يتقاسم الكذبَ معيارا الاستحسان والقبح العقليان، فمرة يكون الكذب علاجا ناجعا للحمقى، وللاعتدال السياسي، وللبلاغة الأدبية، ومرات أخرى تظهر عليه خصائص القبح الأدبي، والفلسفي، والأخلاقي، وإن كان معيار القبح متفوق بنسبة كبيرة على معيار الاستحسان فإن الكذب ينقسم نفسيا على سلبي، ومحايد، وايجابي.

– يُوشِر الكذبُ علاماتِه على الأجساد البشرية، فالأجساد الفطرية محكومة باللغة المستخدمة أو الخطاب السائد وذلك لأن الجسد ليس مستقبلا فقط للدلالات الاجتماعية عبر الخطاب بل إنه مشكل كلية عبر هذا الخطاب، وعليه يجب الحفاظ على الفطرة السوية، تلكم الفطرة التي يوترها الكذب.

– يُعدُّ الكذب الإبداعي/المبالغة مذهبا جماليا مرعيا بالحفظ والمداولة النسقيين وقد أسند كبار النقاد وقدماؤهم هيكله بالتبريرات المُعلية له، إذ استعاض نقادنا القدامى عن مصطلح الكذب الأدبي بمصطلح آخر يستساغ سماعه ويستعذب تداوله وهو مصطلح (الصدق الفني)، وأما الغربيون فقد اجترحوا مصطلحات رديفة للكذب منها المبالغة أو التضخيم أو التهويل (بالإنجليزية: Exaggeration) أو

الكارثية (بالإنجليزية: catastrophization) وهي الإفراط في تمثيل شيء ما، وقد عُدَّ المبالِغ أو المهول شخصيةً مألوفةً في الحضارة الغربية تقريبًا منذ حديث أرسطو عنه حتى عصرنا الحالي.

– إنَّ التفكير في درجة الصفر، وإزاحة المُسبَّقات الحُكمية هو ضرب من الخيال، وحكاية خرافية يتوهمها الحالمون، وهذه ليست فكرة سوداوية بقدر ما هي فكرة تشخيصية تَشِمُ أحكامنا بالريبة والظنية كي لا نقع تحت التقديس الاحتكاري للحقيقة، والذي نكون عند الوقوع تحت طائلته من الكاذبين على الأغلب، ولا سيما في المسائل التي يصعب البتُّ في نتائجها.

– لقد التف الكذب على وجه الحقيقة حين اكتُفِيَ غربيا بأنَّ الحقيقة استحسان اجتماعي مع كل ما يحمله الاستحسان الاجتماعي من تذبذبات ذوقية متأثرة بطبيعة الذائقة البشرية التي تستمرئ ما اعتادت عليه، وإن كان ما اعتادته ضارا وغير نافع، فالاستحسان ربما يتعلق بالكذب وينفي الحقيقة، وهذا ما حذرنا منه ديننا الإسلامي حين نبهنا إلى عدم الركون إلى ما ألفينا عليه آباءنا، وضرورة إعمال المنطق القرآني في معرفة الحقيقة.

المصادر والمراجع:

Carol K., and Elizabeth A. Rider. Sigelman .(.2012) .*Life Span Human Development* .

D Curtis) 22) .June, 2020" .(Pathological Lying: Theoretical and Empirical Support for a Diagnostic Entity ."*Psychiatric Research and Clinical Practice*.

ارسطو. (29 11, 2023). *ويكيبيديا*. تم الاسترداد من https://ar.wikipedia.org/wiki .

الأسد ،د.ناصر الدين ،. (1969). *مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية*. ،القاهرة–مصر: دار المعارف.

أفلاطون. (1947م). *محاورة أفلاطون*. ،القاهرة–مصر،: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أفلاطون. (1986). *محاورة القوانين*،. ،القاهرة: ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،.

باركر ، كريس. (2018). *معجم الدراسات الثقافية*،. ،القاهرة–مصر،: ،رؤية للنشر والتوزيع.

بكري ،علاء الدين. (،د.ت). *أفلاطون،الموسوعة العربية*. دمشق–سوريا: ،هيئة الموسوعة العربية،.

بن جعفر ، قدامة. (د.ت:). *نقد الشعر*،. لبنان: دار الكتب العلمية،.

التوحيدي، أبو حيان. (2023). *الإمتاع والمؤانسة*،. القاهرة_ مصر: آفاق للنشر والتوزيع.

توماس ،هيلين ، و أحمد، جميلة. (2010). *الأجساد الثقافية الإثنوغرافيا والنظرية*،. القاهرة–مصر،: المركز القومي للترجمة.

الجاحظ:. (1987). *المحاسن والاضداد*،. بيروت، : طبعة دار و مكتبة الهلال.

الحاتمي. (2000). *من حلية المحاضرة*،. دمشق _ سوريا: منشورات وزارة الثقافة السورية،.

الحارثي، عبد يغوث . (12 12, 2023). *الديوان*. تم الاسترداد من https://www.aldiwan.net/poem89309.html

الخليل، د.سمير. (2022). *دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي*،. بغداد–العراق: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

دريدا ، جاك. (، 2018م). *تاريخ الكذب*. الدار البيضاء–المغرب: ،المركز الثقافي العربي.

روسو ،جان جاك ،. (د.ت). *أحلام يقظة جوال منفرد*. القاهرة–مصر،: المركز القومي للترجمة،.

الرويلي ، ميحان ، و البارعي ، سعد. (2002). *دليل الناقد الأدبي*،. ،الدار البيضاء–المغرب: المركز الثقافي العربي.

سعيد، إدوارد. (2006). *المثقف والسلطة*،. ،القاهرة–مصر: ،رؤية للنشر والتوزيع.

سكر ، أ.د.حيدر كريم. (/2023). *لقاء مع الأستاذ*. بغداد–العراق: كلية التربية الجامعة المستنصرية.

الشبة ،محمد ،. (2018). *اللغة،سلسلة تحليل النص الفلسفي*. ،الدار البيضاء–المغرب،: الناشر الأطلسي.

الشريف،حمدي. (2019). *فلسفة الكذب والخداع السياسي*،. القاهرة–مصر،: رؤية للنشر والتوزيع،.

شلنج ، كرس. (2009). *الجسد والنظرية الاجتماعية*،. أبو ظبي–الإمارات العربية المتحدة: دار العين للنشر،.

صليبا ،جميل. (1982). *المعجم الفلسفي*. بيروت–لبنان، : ،دار الكتاب اللبناني، .

العريان، محمد سعيد. (1940م). *تاريخ اداب العرب*،.
الغذامي ، عبدالله محمد. (2012). *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية*،. ،الدار البيضاء–المغرب: المركز الثقافي العربي.
الغذامي،عبدالله. (2012). *اليد واللسان القراءة والأمية ورأسمالية الثقافة*،. ،الدار البيضاء–المغرب: ،المركز الثقافي العربي.
فاينرش ،هرالد. (2015). *اللغة والكذب*. عمان–الأردن.
لابن أبي الحديد. (د.ت). ، *شرح نهج البلاغة*.
المسيري ،عبد الوهاب ، والتريكي فتحي . (2003م). *الحداثة ومابعد الحداثة*. ،دمشق–سوريا: ،دار الفكر.
المصري، ابن نباتة. (12 12, 2023). *المعراج*. تم الاسترداد من
. idm=12698&id=556&ida=573&https://almerja.com/reading.php?i=4
المعري. أبي العلاء (12 12, 2023). *الديوان*. تم الاسترداد من https://www.aldiwan.net/poem101679.html
المعري، أبي العلاء . (12 12, 2023). *الديوان*. تم الاسترداد من https://www.aldiwan.net/poem101679.html
ميسنجر ،جوزيف. (2014). *لغة الجسد النفسية*. دمشق–سورية،: ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة،.

Sources and references:

Plato. (1947 AD). Plato's dialogue. Cairo-Egypt: Egyptian General Book Authority.
,Jacques Derrida. (2018 AD). History of lying. Casablanca - Morocco: Arab Cultural Center.
Jean-Jacques Rousseau. (d.t.). Solo mobile daydream. Cairo-Egypt: National Center for Translation.
Jamil Saliba. (1982). Philosophical dictionary. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Lubani.
Joseph Messinger. (2014). Psychological body language. Damascus-Syria: Dar Aladdin for Publishing, Distribution and Translation.
Dr. Nasser Al-Din Al-Assad,. (1969). Sources of pre-Islamic poetry and their historical value. Cairo, Egypt: Dar Al Maaref.
Aladdin Bakri. (, d.t.). Plato, the Arabic Encyclopedia. Damascus-Syria: Arab Encyclopedia Authority.
Mohamed Al-Shibah,. (2018). Language, philosophical text analysis series. Casablanca, Morocco: Atlantic Publisher.
Harald Weinrich. (2015). Language and lies. Ammaan Jordan.
Carol K., and Elizabeth A. Rider. Sigelman. (2012.). Life Span Human Development.
D Curtis. (22 (June, 2020). "Pathological Lying: Theoretical and Empirical Support for a Diagnostic Entity." Psychiatric Research and Clinical Practice.
Prof. Dr. Haider Karim Sukkar. (/2023). Meeting with the professor. Baghdad-Iraq: College of Education, Al-Mustansiriya University.
Ibn Nabata Al-Masry. (12 12, 2023). Al-Miraj. Retrieved from https://almerja.com/reading.php?i=4&ida=573&id=556&idm=12698.
Abu Hayyan Al-Tawhidi,. (2023). Enjoyment and sociability. Cairo_Egypt: Afaq for Publishing and Distribution.
Abi Al-Alaa Al-Maarri. (12 12, 2023). The Diwan. Retrieved from https://www.aldiwan.net/poem101679.html
Edward Said,. (2006). The intellectual and the authority. Cairo-Egypt: Vision for Publishing and Distribution.
Aristotle. (11 29, 2023). Wikipedia. Retrieved from https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A9.
Plato. (1986). Laws dialogue. Cairo: Egyptian General Book Authority.
Al-Jahiz:. (1987). Advantages and opposites. Beirut: Al-Hilal House and Library Edition.

Al-Hatemi. (2000). From the ornament of the lecture,. Damascus - Syria: Publications of the Syrian Ministry of Culture.

Hamdi Al-Sharif,. (2019). The philosophy of lying and political deception. Cairo-Egypt: Vision for Publishing and Distribution.

Dr. Samir Khalil,. (2022). A guide to terminology for cultural studies and cultural criticism. Baghdad-Iraq: Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq.

The collection of Abu Al-Ala Al-Maarri. (12 12, 2023). The Diwan. Retrieved from https://www.aldiwan.net/poem101679.html

Diwan Abd Yaghouth Al-Harithi. (12 12, 2023). The Diwan. Retrieved from https://www.aldiwan.net/poem89309.html

Abdel Wahab Al-Mesiri, and Fathi Al-Triki. (2003AD). Modernism and postmodernism. Damascus - Syria: Dar Al-Fikr.

Abdullah Al-Ghadhami,. (2012). Hand, tongue, reading, illiteracy, and cultural capitalism. Casablanca - Morocco: Arab Cultural Center.

Abdullah Muhammad Al-Ghadhami. (2012). Cultural criticism is a reading of Arab cultural patterns. Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.

Qudamah bin Jaafar. (DT:). Poetry criticism. Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.,

Chris Shilling. (2009). The body and social theory. Abu Dhabi - United Arab Emirates: Al Ain Publishing House.

Chris Parker. (2018). Dictionary of Cultural Studies,. Cairo-Egypt: Vision for Publishing and Distribution.

Chris Parker,. (2018). Dictionary of Cultural Studies,. Cairo - Egypt: Vision for Publishing and Distribution.

By Ibn Abi Al-Hadid. (d.t.). Explanation of Nahj al-Balagha.

Muhammad Saeed Al-Erian. (1940 AD). History of Arab literature.

Mehan Al-Ruwaili, and Saad Al-Barai. (2002). The Literary Critic's Guide. Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.

Helen Thomas, and Jamila Ahmed. (2010). Cultural Bodies, Ethnography and Theory. Cairo-Egypt: National Center for Translation.